أزمة كورونا (كوفيد ١٩ وما بعدها)
رؤية المجلس العربي للطفولة والتنمية

أ.د. حسن البيلاوي *

امتدادًا للدور الذي يقوم به المجلس العربي للطفولة والتنمية، نقدم للقارئ العزيز ملف العدد ٣٨ من مجلة الطفولة والتنمية، يتناول الملف جائحة كورونا (كوفيد ١٩) وما أحدثته من تأثيرات مؤلمة نفسيًا واجتماعيًا على الأطفال، ليس فقط في عالمنا العربي بل في كل أنحاء العالم.

لقد أحدثت هذه الجائحة منذ انتشارها حتى الآن أزماتٍ طاحنةً ألَّمت بحياة الملايين من البشر، في معظم أنحاء العالم، صحيًا واقتصاديًا، واجتماعيًا، ونفسيًا. وكان من أكثر فئات البشر تأثرًا بهذه الأزمات الطاحنة، الأطفال والنساء، فهما من أكثر الفئات هشاشة، وتأثرًا بأزمات الحياة التي تواجه المجتمعات في الصحة والتعليم، والاقتصاد والحياة الاجتماعية والضغوط النفسية.

وإزاء إحساس المجلس العربي للطفولة والتنمية من البداية بوطأة هذه الأزمات التي أحدثتها الجائحة على حياة الطفل ومستقبله وحقوقه في الحماية والرعاية والبقاء والنماء، قام المجلس بدور فاعل تحت رعاية صاحب السموِّ الملكي الأمير عبد العزيز بن طلال بن عبد العزيز آل سعود رئيس المجلس، بالدعم المادي، والتوعوي، وعقد اللقاءات الفكرية والإعلامية مع المؤسسات الحكومية، ومؤسسات المجتمع الأهلي، بهدف الدعم ونشر الوعي والمعرفة في كُلِّ مجالٍ من مجالات الطفولة؛ لتوفير الحماية والوقاية للطفل في كُلِّ مكانٍ في بلادنا العربية.

كما قدم المجلس دعمه للمنظمات الدولية العاملة في مجال حماية الطفولة، مثل: المُفوَّضية السامية للأمم المتحدة لشئون اللاجئين (UNHCR)، منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف). كما قدم المجلس دعمه لثلاث مؤسسات من منظمات المجتمع المدني العاملة في مجال الطفولة في مصر.

وفي محور العمل التوعوي، وتقديم المعارف والنصائح وطرق التعامل، وطرق وأساليب الدعم

* الأمين العام العام للمجلس العربي للطفولة والتنمية.

النفسي للأطفال، والأمهات والأسرة في جوانب الحياة لمقاومة آثار الجائحة، انطلق المجلس من منصات تكنولوچيا الاتصال المتقدمة في السوشيال ميديا، تويتر، وفيسبوك، ويوتيوب، وبوابة المجلس، وكان ذلك من خلال هاشتاج # حماية – أطفالنا – من –كورونا، وشعار حماية أطفالنا، والتنشئة العربية السليمة في زمن كورونا.

وفي محور نشر الفكر والمعرفة المنظمة مع الشركاء من المنظمات الحكومية والإقليمية، ومنظمات العمل الاجتماعي الأهلي، استخدم المجلس وسائل الاتصال الرقمية المختلفة في عقد الاجتماعات والندوات، ومنها:

١. ندوة رقمية بعنوان: "**الدعم النفسي للأطفال في ظل جائحة كورونا**" بتاريخ ٥ مايو ٢٠٢٠، بالشراكة مع المنظمة الكشفية العربية.
٢. الندوة الافتراضية حول "**تنامي ظاهرة العنف في المجتمعات العربية في ظل أزمة كورونا**" بتاريخ ٤ يوليو ٢٠٢٠، بالشراكة مع الألكسوا (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم).
٣. ورشة عمل حول "**التعاطي الإعلامي لتداعيات أزمة جائحة كورونا على حقوق الطفل**"، ١٥ يوليو ٢٠٢٠، مع اتحاد وكالات أنباء دول منظمة التعاون الإسلامي (يونا).

لقد فرضت جائحة كورونا التباعُد الاجتماعي والعزلة المنزلية، أو بالأحرى الحَجْر المنزلي، وتوقف الأنشطة الاقتصادية، وكان نتيجة ذلك أن ازداد العنف الاجتماعي في بلادنا، ولكن علينا التوقف أمام واقع أن العنف أصبح له مظاهر متعددة؛ أبرزها أزمة عمل الأطفال التي ازدادت بشكلٍ كبير ، وقبل كورونا كانت التقديرات تشير إلى قرابة ١٥ مليون طفل (في المنطقة العربية) بحسب تقديرات منظمة العمل الدولية، وقد أجرى المجلس العربي للطفولة والتنمية دراسة إقليمية مع جامعة الدول العربية ومنظمة العمل الدولية ومنظمة العمل العربية ومنظمة الفاو. فعندما نتحدث عن عمل الأطفال فتعريفنا له أنه: "**كل عمل يحرم الأطفال من طفولتهم وإمكاناتهم وكرامتهم، ويضرُّ بنمُوِّهم البدني ونموهم العقلي ويتعارض مع تعليمهم إما بحرمانهم من فرصة الالتحاق بالمدرسة، أو إجبارهم على ترك المدرسة قبل الأوان**".

وبالطبع توجد الكثير من العوامل المؤثرة، فأزمة عمل الأطفال موجودة في العالم وخصوصًا في العالم النامي؛ ولكننا فى عالمنا العربي نجد بعض الدول العربية تعاني ظاهرةً خاصةً رهيبة،

وهي ظاهرة النزاعات المسلحة، بفعل الإرهاب الناتج عن تفشي الفكر الأصولي الظلامي المتوهم امتلاك الحقيقة المطلقة، باسم الدين، والدين منهم براء، فينتشر التطرف وينتشر الإرهاب، وإباحة قتل الآخر، وهدم ديار البشر من المسلمين وغير المسلمين. لقد أحالت النزاعات المسلحة والإرهاب، واقع كثير من بلادنا العربية إلى واقع أليم وأحال الحياة إلى جحيم، شرد الأطفال وشرد النساء.

أصبح ملايين الأطفال من هذه البلاد العربية المنكوبة بالإرهاب مشردين يعانون اللجوءَ السياسي، ويعيشون في العراء فاقدين الرعاية.. والحماية.. والتعليم.. بل ومُقوِّمات الحياة الإنسانية الأساسية.. جاءت جائحة كورونا التي انتشرت في أرجاء معظم العالم كله، وأضافت إلى هذا الواقع الأليم آلامًا متزايدة.

أضافت كورونا أزمات اقتصاديةً وحياتيةً ونفسية، بسبب العزلة الاجتماعية التي فرضتها الإجراءات الصحية الاحترازية، وبسبب توقف الأنشطة الاقتصادية، وازدياد البطالة وازدياد الضغوط الاقتصادية والنفسية.

وهكذا في أزمة كورونا عاش الأطفال في بلادنا العربية كما هو حادث في معظم بلدان العالم، الأزماتِ التي فرضتها كورونا. إلا أننا نعي أيضًا أن بعض أطفالنا في البلاد العربية المنكوبة بالإرهاب والنزاعات المسلحة، عاشوا الأزمات بلون أسود.. نقول إنها نكبة مُضاعَفة من النزاعات الإرهابية وجائحة كورونا.

والواقع أن تفشي الفكر الظلامي الداعم للتطرُّف والإرهاب أوجد أوضاعًا صعبة في العالم العربي، جعلت الأطفال يتعرضون إلى مثل هذه الأشياء من كل مظاهر العنف، ويرتبط العنف ضد الأطفال بشكلٍ وثيق بالعنف ضد المرأة، فالمرأة هي الأم والحاضنة لهؤلاء الأطفال، وهناك عنف مُمارَس ضد المرأة ، ولكنني أعتقد أيضًا أن العنف ضد المرأة في عالمنا العربي مرتبط ببعض الأصول الثقافية والثقافة المجتمعية التي تبرر اضطهاد المرأة وتبرر من ظلم المرأة، وتضع المرأة في مرتبةٍ تاليةٍ للرجل، أو بالأحرى مِلْكيَّة خاصة للرجل في معظم المجتمعات؛ وخاصة حينما نكون في قاع التخلف الثقافي في بعض البلاد العربية.

وفى ضوء هذه الأوضاع يمكن أن نحدد رؤيتنا في المجلس العربي للطفولة والتنمية من أربعة محاور:

- **أولًا**: تعزيز الإطار المؤسسي والتشريعي من حيث القوانين والأنظمة الوطنية والأُطُر المؤسساتية.

- **ثانيًا**: سياسات الحماية من الضعف الاقتصادي والضغوط الاقتصادية والنفسية، بحيث يتم إصلاح سياسات سوق العمل وإصلاح سياسات الحماية الاجتماعية والوصول إلى الخدمات الأساسية، بما فيها التعليم والرعاية الاجتماعية للطفل والمرأة وكبار السن.
- **ثالثًا**: سياسات الحماية من أثر النزاع المسلح، والحماية والحَدّ من الإرهاب، والحد من البيئة المُولِّدة للإرهاب، التي يتفشى فيها الفكر الأصولي الظلامي.
- **رابعًا**: سياسة التنمية الثقافية التنويرية الداعمة للتقدم وبناء عقل جديد للطفل؛ لنؤسس عالمًا جديدًا "ما بعد كورونا"، مجتمعات عربية سليمة نامية قوية.

وفي النهاية فإنني أتوجه بالشكر إلى الأساتذة الأجلاء الذين شاركوا فى هذا العدد، كما أشكر فريق التحرير على ما بذلوه لإخراج هذا العدد بجهد متميز، وأتمنى أن تتواصل جهودنا لتحقيق مستقبل أفضل للطفل العربى، وندعو الله بأن ينتهي الوباء قريبًا، ويحفظ الجميع.